

## الفنون العباسية

### د منى عثمان الغُباشي

#### الفرقة الثانية شعبة الآثار الإسلامية قسم الآثار

#### الجزء الأول من فن صناعة وزخرفة النسيج

يُعد النسيج أول وأهم الفنون المرتبة بحماية الجسم البشري من التقلبات الجوية والذي تطور من الناحيتين الفنية والصناعية سوياً تبعاً لُرقى وتقدم المجتمع لأنه يعتبر من أهم مظاهر التمدن. ويستخدم في صناعة النسيج النولين الأفقي والرأسي، وكان النول الأفقي الأكثر استعمالاً في العصر الإسلامي، وذلك لاختفاء المناظر التصويرية على النسيج، واقتصار الزخارف على العناصر البسيطة المتكررة التي كثيراً ما نجده محصورة في أشرطة أفقية. وتتوالت خامات النسيج من خامات طبيعية صناعية وهي عبارة عن ألياف تحضر صناعياً. وتتمثل الخامات الطبيعية في خامات نباتية مثل القطن والكتان، خامات حيوانية، مثل الصوف والحريز وخامات معدنية مثل الذهب والفضة.

ومن المواد الخام التي استعملت في النسيج الإسلامي بصفة عامة وفي بداية العصر الإسلامي بصفة خاصة هي الكتان يؤمّن المرتبة الأولى بالنسبة لصناعة النسيج منذ العصر الفرعوني، يليه الصوف في المرتبة الثانية، ثم الحريز في المرتبة الثالثة، أما القطن فقد ورد ذكره في كثير من المراجع القديمة والإسلامية إلا أنه مع الأسف لم يصلنا دليل مادي يؤيد صحة ما ورد في تلك المراجع.

تتوالت أساليب صناعة وزخرفة النسيج: تتمثل في الطرق الآتية:

- (١) الرسوم بالألوان رسوماً مختلفة
- (٢) التطريز
- (٣) الزخرفة بالنسج بخيوط مختلفة الألوان
- (٤) القباطي
- (٥) الزخرفة بطريقة اللحمة الزائدة: وتتمثل في طريقتي اللحمة الزائدة التقليدية واللحمة الزائدة الحقيقية.

كانت لمصر وإيران والعراق منذ قديم الزمان شهرة واسعة في إنتاج المنسوجات فضلاً عن الأقاليم البيزنطية في الشام وأسيا الصغرى، ولما انتشر الإسلام وانقضى دور الزهد والتشف الذي ساد العالم الإسلامي في بداية تاريخه بسبب كراهية الترف والملابس الحريرية، لقيت صناعة النسيج تشجيعاً خاصاً في الأقاليم الإسلامية المختلفة.

كانت تصدر هذه الدول المنسوجات إلى سائر الأقطار الإسلامية وإلى أوروبا والشرق الأقصى والتي لاقت رواجاً كبيراً وشهرة واسعة في هذه الأقطار، ويدل على ذلك أسماء بعض أنواع الأقمشة التي ما زالت محتفظة بأسمائها القديمة حتى الآن والتي كان بعضها يستعمل في العصور الوسطى فالمنسوجات التي كانت تسمى باللغات الأوروبية Damasks قد اشتق اسمها من "دمشق" التي كانت مركز التجارة الإسلامية التي كان الغربيون يُنسبون إليها كثيراً من البضائع التي كانت تباع فيها أو استورد منها، مع أنها كانت في الحقيقة تصنع في أقاليم أخرى في العالم الإسلامي وكلمة "موسلين" "Muslin" نسبة إلى الموصل التي كانت الإيطاليون في العصور الوسطى يستوردون منها الأقمشة الحريرية ويسمونه "Mussolina"، وكذلك الأقمشة التي كان الأوروبيون يعرفونها باسم جرينادين "Grenadines" اشتقت اسمها من غرناطة Grenada.

ويتجلى اهتمام الخلفاء والأمراء بصناعة النسيج بأن أصبحت مصانع النسيج حكومية بحتة أو تكون تحت رقابة حكومية شديدة. وأطلقت على هذه الدور اسم "دور الطراز" وهي لفظة طراز مشتق من الكلمة الفارسية (ترازين) بمعنى التطريز والنسج ثم عُبت وأصبح مصطلح طراز يطلق على ملابس الخليفة التي تحتوي على شريط كتابي يشتمل على اسمه مصحوباً بعبارات دعائية ومكان وتاريخ النسج. وقد كان هذا الشريط الكتابي ينسج بطريقة القباطي أو يطرز بعد نسج الثوب بخيوط من الذهب والفضة والحرير الذي يختلف في لونه عن لون الثوب. وقد اتخذ الخلفاء ذلك حقاً لهم وحدهم اختصوا به أنفسهم دون غيرهم، واعتبروه من علامات سلطانهم كالدعاء لهم في خطبة الجمعة والعيدين ونُقش اسمه على السكة سواء بسواء ثم اتسع مدلول لفظة طراز وصار يطلق على المكان والمصنع الذي تنسج فيه مثل تلك الأقمشة فعرفت بدور الطراز.

هذا أن لفظ طراز يستعمل في اللغة العربية بمعنى نمط أو أسلوب للدلالة على الأسلوب الفني فيقال مثلاً الطراز الأموي، الطراز العباسي، الطراز الفاطمي، الطراز الأيوبي، الطراز المملوكي والطراز العثماني. كما أطلق الطراز على مصنع الزجاج كما وردت قطعة الزجاج المُزخرفة بالبريق المعدني المؤرخة بسنة ١٦٣هـ.

ولقد أجمع علماء الآثار الإسلامية اعتماداً على ما ورد في المراجع التاريخية وما عثروا عليه من الآثار المادية على أن دور الطراز في العصر الإسلامي نشأت في عهد الدولة الأموية أيام الخليفة عبد الملك بن مروان، وإن كان أقدم قطعة عليها شريط طراز وصلت إلينا مؤرخة بسنة ٨٨هـ أي في عهد الوليد بن عبد الملك.

وتتقسم دور الطراز إلى نوعين هما:

١- طراز الخاصة : وأبرز ما ينتجه الأقمشة الخاصة بملابس الخليفة ورجال بلاطه وحاشيته، بالإضافة إلى كسوة الكعبة والخلع التي ينعم بها الخليفة على كبار رجال الدولة .

٢. طراز العامة : ومخصص لإنتاج الأقمشة الخاصة بملابس أفراد الشعب، إلا أنها تحت رقابة الحكومة.

وكان يشرف على دور الطراز العامة والخاصة موظف كبير له مكانته في الدولة وكانت تحت أمرته موظفون ينفذون أوامره، ويختار المشرف على دور من أخلص الناس إلى الخليفة وأكثرهم ثقة حيث أن ذكر اسم الخليفة في شريط الطراز هو أحد علامات الخلافة والسلطنة.

#### النسيج الإسلامي في العراق:

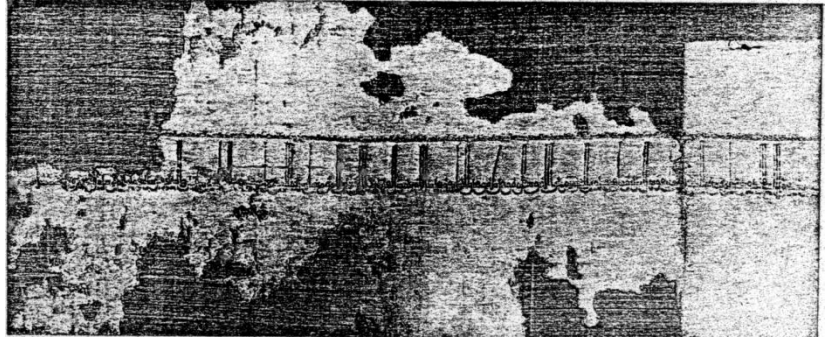
قطعت صناعة النسيج في مدن العراق الإسلامي خطوات كبيرة إلى الأمام وذلك بفضل التشجيع والعون والرعاية التي حصل عليها أصحاب هذه الصناعة من قبل العرب الفاتحين سواء أكان هؤلاء أصحاب مصانع كبيرة أو من صغار الحرفيين. فاشتهرت بغداد بغزل الأقمشة الحريرية والقطنية الثمينة ولاسيما نوع يطلق عليه السقلاطون وهو نسيج من الحرير وردي اللون، كما اشتهرت الكوفة بنسيج الحرير وكانت تصنع المناديل التي تلبس على الرأس أو حول الرقبة ولا يزال بعضها نسب إليها فتسمى الكوفية، كما اشتهرت الموصل والحيرة والبصرة بإنتاج أنواع جيدة من المنسوجات القطنية والصوفية والحريرية والكتانية. ولكن لم يصل من المنسوجات العراقية في فجر الإسلام ما يكفي لمعرفة مميزات النسيج العباسي ومعظم ما نعرفه عن تلك المنسوجات لا يكاد يضم إلا كتابات كوفية تذكارية إما:

- بأسماء بعض الخلفاء العباسيين طُرزة بالحرير المختلفة الألوان .
  - أو كتابات كوفية بأسماء قادة أو أشخاص لهم مركزهم الاجتماعي أو لعائلات كبيرة.
- فبالنسبة لأسماء بعض الخلفاء العباسيين والطُرزة بالحرير المختلف الألوان منها على سبيل المثال ثلاث قطع:

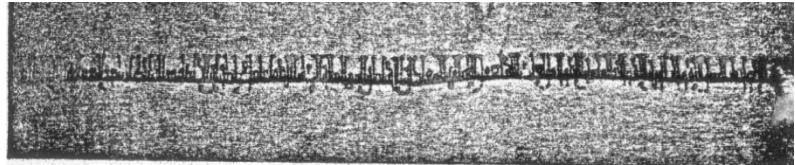
**الأولي:** تحتوي علي شريط طراز بالخط الكوفي طُرز بالحرير الأزرق نصه: "بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ" الله الرحمن الرحيم وما توفيقي إلا بالله يمن ... بع "



**الثانية:** تحتوي على شريط طراز بالخط الكوفي الأطرز بالحريز البُني نصه : "بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت.. بركة من الله وسلامة، وغبطة وعز للخليفة عبدالله (أ) حمد المقتدر بالله أمير المؤمنين أيده الله بعمله في طراز الخاصة بمدينة السلام علي يد أبو ... (مولى أمير المؤمنين) سنة عشرين وثلاثمائة".



**الثالثة:** تحتوي على شريط طراز بالخط الكوفي الأطرز بالحريز البُني ونصه: .. من الله وعافية من الله وبقاء من الله وسلامة من الله ويمن لعبد الله أحمد الإمام القادر بالله أمير المؤمنين أيده الله ما في طراز الخاصة سنة احد ثمين وثلاثماية .. الملك لله".



أما الكتابات الكوفية بأسماء قادة وأشخاص لهم مركزهم الاجتماعي أو لعائلات كبيرة منها علي سبيل المثال قطعة نسيج نسجت ببغداد في عام ٢٥٩هـ/٨٧٢م ومحفوفة في كاتدرائية ليون بأسبانيا مُزخرفة بدائرتين متماستين زُخرفت كل واحدة منهما شجرة حياة محورة عن الطبيعة علي جانبيها فيلان متقابلان يحملان أسدان متدبران فوق كل منهما طاووس يُوحيط بكل دائرة شريط كتابي بالخط الكوفي المورق ونصه: "مما عمل في بغداد.. البركة من

الله .. أبو النصر " وهذه الكتابة مكررة بطريقة معكوسة.



- قطعة نسيج بمتحف الفن الإسلامي بالقاهرة: تتألف زخرفتها من شريط عريض أفقي يحتوي على جامات بها رسوم بط ألوان متعددة كالأحمر والأزرق والأخضر، ويحف بالشريط الزخرفي سطران من الكتابة بالخط الكوفي غير المقروء . ويتضح من زخارف هاتين القطعتين الأخيرتين أن زخارف النسيج العراقي تأثرت بالتأثيرات الساسانية في وضع رسم الحيوانات والطيور داخل مناطق دائرية (جامات) أو متعددة الأضلاع ، وشجرة الحياة التي تفصل بين الحيوانين، والعصابة الطائرة التي بخلف رأس البط.

عزيزي الطالب يجب عليك الآتي:

- ١- شرح النماذج بالتفصيل مع مقارنتها بغيرها في باقي العالم الإسلامي
- ٢- إلقاء الضوء على الطرز الفنية والمعمارية من خلال التحف
- ٣- إلقاء الضوء على الأوضاع الاجتماعية و الاقتصادية والسياسية من خلال هذه التحف
- ٤- البحث في كتابك ومواقع الانترنت عن مزيد من التحف